



INTERNATIONAL JOURNAL OF RESEARCH IN SOCIAL SCIENCES & HUMANITIES

An International Open-Access Peer Reviewed Referred Journal

Impact Factor: 6.064

E-ISSN : 2249 – 4642

P-ISSN: 2454 - 4671

SELF CRYING IN AL-MU'TAMID IBN ABBAD (432-488 A.H.)

Dr. Yousef Ibrahim Mohamed Katrib

College of Arts and Sciences/ Tokra- University of Benghazi, Libya

DOI: <http://doi.org/10.37648/ijrssh.v12i01.019>

Paper Received:

06th December, 2021

Paper Accepted:

12th January, 2022

Paper Received After Correction:

05th February, 2022

Paper Published:

12th February, 2022



How to cite the article: Katrib Y.I.M. (2022)

Self Crying in Al-Mu'tamid Ibn Abbad (432-488 A.H.), *International Journal of Research in Social Sciences & Humanities*, January- March 2022 Vol. 12, Issue 1; 340-360 DOI: <http://doi.org/10.37648/ijrssh.v12i01.019>

بكاء الذات عند المعتمد بن عباد (432- 488 هـ)

* الدكتور يوسف إبراهيم محمد قطريب / كلية الآداب والعلوم / توكرة - جامعة بنغازي

ABSTRACT

In his study, entitled (Al-Mu'tamid bin Abbad's the Crying Self), the researcher aimed to identify the motives and factors that provoked the poet to lament himself, to state the purposes and goals that stood behind that crying, and Ibn Abbad's position on the issue of life and death. In investigating this subject, the study relied primarily on the poet's anthology. It also aimed to probe the depth of his soul while he was in prison waiting for the end of his life, depending in that on the historical method in the investigation of his poems, the technical-analytical method in elucidating the aesthetic values, and the group of artistic images of poetry.

Keywords : *Al-Mu'tamid bin Abbad - Self-pity - Motives of self-pity - Objectives of self-pity*

الملخص :

عمد الباحث بهذه الدراسة (بكاء الذات عند المعتمد بن عباد) إلى تحديد البواعث والعوامل المثيرة للشاعر لرتاء نفسه , ومن ثم تحديد الأغراض والغايات التي وقفت وراء ذلك البكاء , وبيان موقف ابن عباد من مسألة الحياة والموت , واعتمدت الدراسة على ديوان الشاعر بالدرجة الأساس في استقصاء هذا النوع من أشعاره لاستجلاء حقيقة هذا الموضوع عند شاعرنا ابن عباد كما أن الدراسة هدفت إلى سبر أغوار النفس الإنسانية لديه وهو في سجنه منتظراً نهاية حياته معتمداً في ذلك على المنهج التاريخي في استقصاء الأشعار ، والمنهج الفني التحليلي في استجلاء القيم الجمالية ومجموعة الصور الفنية لشعر بكاء الذات لديه .

الكلمات المفتاحية : المعتمد بن عباد - رتاء الذات - بواعث رتاء الذات - غايات رتاء الذات

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحابه ومن سار على هدية إلى يوم الدين .

أما بعد :

لقد شهدت الحضارة العربية في الأندلس تطوراً كبيراً في زمن الدولة الأموية (إمارة قرطبة) الأمر الذي جعل الأدب الأندلسي يتعدا مرحلة التأسيس والبناء والخوف من التخلف والضعفاء ، وأصبح يشار له بالبنان لاستقلاله عن الشعر المشرقي ، وبالتالي لم يتأثر بعملية انقسام الأندلس مطلع القرن الخامس الهجري إلى دويلات وإمارات ، بل يمكن القول أن ذلك الانقسام قد زاد من حركة تطوره وازدهاره إذا ما علمنا أن ذلك الانقسام كان من أهم العوامل والبواعث في نظم الشعر ، فضلاً عن تعدد مراكز الإشعاع فيها ، وعمل أمراء تلك الدويلات على تدعيم إماراتهم بالشعراء ، فضلاً عن كونهم هم أنفسهم شعراء ، ويعلمون قيمة الشعر والشعراء عند أمتهم ، ومن أشهرهم وأكثرهم شهرة وأوسعهم ملكاً المعتمد بن عباد إلا أن عاديات الزمن دارت على ملكه أواخر القرن الخامس الهجري وأخذ عنوة من قبل جيش يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين إلى العودة المغربية مكبلاً بالأغلال لينتهي به المطاف في مدينة أغمات المغربية سنة 484هـ ، ويلقى مصيره فيها سنة 488 هـ ، وقبل وفاته كانت له وقفات كثيرة في بكاء ذاته ، وهنا يمكن تسجيل أكثر من نوع من بكاء الذات ، بكاؤه هو وبكاء محبيه من شعراء الأندلس وهذا الموضوع له أهميته كونه موضوعاً يخص النفس الإنسانية ، ويبين موقف المعتمد بن عباد من حقيقة الموت والحياة ، وبالتالي توثق الدراسة جانباً مهماً من جوانب حياة الشاعر الحربية والسياسية والاجتماعية قبل وبعد الأسر ، وبالتالي تلك الأشعار تمثل وثائق حربية وسياسية واجتماعية عن الشاعر وعن أسرته ، فضلاً عن تصويرها للعواطف الإنسانية الصادقة والعفوية .

ولهذه الأهمية تم اختيار الباحث للموضوع فضلاً عن كونه في الاختصاص نفسه ومما لا شك فيه هناك دراسات حول بكاء الذات عند العديد من الشعراء إلا أنني لم أجد أي دراسة بهذا الجانب عن شعر المعتمد بن عباد ، وقد اعتمدت الدراسة على ديوان الشاعر بالدرجة الأساس إلى جانب بعض مصادر الأدب الأندلسي ، ومعجم اللغة التي أفادت الدراسة ، واعتمدت على أكثر من منهج لتحقيق غايتها كالمنهج التاريخي والوصفي والفني التحليلي .

وجاءت مادة البحث على تمهيد ومبحثين هما :

تمهيد : المعتمد بن عباد : تعريف به وبمولده ونسبه .

المبحث الأول : بكاء الذات عند المعتمد بن عباد وبواعثه .

المبحث الثاني : بكاء الذات عليه في شعر محبيه وبواعثه .

ولم يكن خالياً العمل من الصعوبات وفي مقدمتها نقص الدراسات النفسية لشعره .

وأخيراً لا بد من القول بأن أعمال البشر يعترئها النقص دائماً ، فالكمال لله وحده ، لذا فهذه الدراسة عرضة للنقص والخطأ ، فما كان من صواب فبتسديد من الله ، وما كان من خطأ وتقصير ونقص فمننا ، والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين .

الباحثان

التمهيد : المعتمد بن عباد

- 1- نسبه .
- 2- مولده ونشأته .
- 3- أهم أعماله وبطولاته .
- 4- وفاته .

المعتمد بن عباد :

أولاً : نسبه :

هو أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمرو ولقب بالمؤيد اول الأمر ثم لقب بعد ذلك بالمعتمد بعد أن تعرف على زوجته اعتماد ويروي أنه لقب بالظاهر بحول الله "1"

ثانياً : مولده ونشأته :

ولد سنة 432 هـ بمدينة باجة إحدى مدن شبه الجزيرة الأندلسية من الجانب الغربي ، ومع بداية القرن الخامس الهجري شهدت الأندلس انقساماً كبيراً في ملك الدولة الأموية نتيجة لتصارع حكامها وانشغالهم بمصالحهم الخاصة ، فظهرت دويلات

1 - ديوان المعتمد بن عباد- جمع وتحقيق أحمد بدوي / حامد عبد المجيد طبعة دار المعارف - ط/ 1951/ ص40

ملوك الطوائف التي كان أبرزها إمارة آل عباد في اشبيلية بزعامه والد المعتمد المعتضد فنشأ في ظلها وآل إليه حكمها وهو في سنة 29 بعد وفاة والده وعرف بالشجاعة والبراعة والكرم , وكان شاعراً مجيداً , وعارفاً بقيمة الشعر والشعراء , فأكرمهم وفتح خزائنه لهم واستوزر منهم "2", فأشادوا به وأطنبوا في مديحه ومديح دولته , فغدا أشهر أمراء الأندلس شهرة "3".

ثالثاً : أهم أعماله وبطولاته :

أفلح المعتمد بن عباد بالزحف على قرطبة وضمه لها , وأحسن إلى أهلها , فأحبوه وأخلصوا له ؛ وليس هذا كل ما كان له بل حقق في حياته السياسية العديد من الانتصارات , فحسن اختياره لوزراء إمارته يعد خير انتصار , فقد أحسن اختياره لابن عمار الذي كان ساعده الأيمن بكل أعماله , كما أنه أحسن عندما استوزر ابن زيدون شاعر الأندلس حينئذ , وعلى الصعيد الحربي فقد حقق انتصاراً عظيماً بمعركة الزلاقة "4" فلهج الشعراء بالثناء عليه , وعلى زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين ,

ويمكن القول بأنه : بنى مجداً ودولة يهابها العدو قبل الصديق , وكانت محط أطماع العدو أذفونش , فهاجمها سنة 479 هـ فتصدى له مع جيش المرابطين وعاد الكرة مرة أخرى بعد أن لمس العدو من حكامها اللهو والتمتع والأنس بملذات الدنيا , فما كان من المرابطين إلا أن دحروا العدو وأطاحوا بالعديد من حكام الأندلس وفي مقدمتهم المعتمد بن عباد , وسبق مكبلاً بالأغلال للعدو المغربية يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر رجب من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ليقتضي بقية حياته في سجن مدينة أغمات المغربية , إذ هيهات أن تصفى وتدوم الحياة لشخص مهما تبدت بزینتها وبهرجها لا تلبث أن تنقلب وتتحبهم وتكر "5" (سنة الحياة وليس لها تديلاً) , ولعل آخر ما حققه من انتصارات إن صح ذلك هو خروجه لجيوش المرابطين التي أحاطت بقصره كفارس مقدم خرج ليدافع عن ملكه وشرفه دون خوف أو جزع , وفقد فيه ولديه (الراضي والمعتمد) "6" وتميز ابن عباد بالعديد من الصفات والخصال التي منحته مكانة عالية شهد له بها العدو قبل الصديق , ويمكن الوقوف عليه بالعودة إلى ديوانه "7".

IJRSSH

- 2 - ينظر المصدر نفسه 16 - 17
- 3 - ينظر ملامح الشعر الأندلسي . د. عمر الدقاق . دار الشرق العربي ط1 / 2006 ص 125 - 126 .
- 4 - ينظر ديوان المعتمد ص 16 .
- 5 - ينظر ديوان المعتمد ص 16 - 17 .
- 6 - ينظر ملامح الشعر الأندلسي . د. عمر الدقاق ص 126 - 129 .
- 7 - ينظر ديوان المعتمد ص 33 - 35 .

رابعاً - وفاته :

بعد أن سقط ملكه بيد جيش المرابطين سيق للعدوة المغربية ، وأودع في سجن مدينة أغمات المغربية هو وزوجته ، وبقي مكبلاً بأغلاله إلى أن وافته المنية في 11 من شوال لسنة 488 هـ لتطوى صفحة قائد اشبيلية وفارسها الهمام بعد أن قضى في منفاه أربع سنوات لقي خلالها الذل والهوان والفقر والإهمال ، فكان أسرته وماضيه مدعاة لإثارة شجونته وإدماء عيونه .

المبحث الأول : بكاء الذات عند المعتمد بن عباد وبواعثه

أولاً : البواعث :

- 1- الإحساس بالقهر والمذلة وضياع الملك .
- 2- الإحساس بدنوا الأجل والقلق على المصير .
- 3- التأسف على ضياع الشباب .
- 4- الشعور بالغربة والحنين للماضي .
- 5- الضيق والضجر من الحياة .
- 6- فقدان عزيز (ولد أو زوجة أو غيرهما) .

بكاء الذات وبواعثه عند المعتمد بن عباد

أولاً : الإحساس بالقهر والمذلة وضياع الملك :

كيف لا وهو الملك العزيز في اشبيلية ؛ والذي كان صاحب الحظ الأوفر من حيث الملك والسطوة بين أقرانه من أمراء دويلات الأندلس ، والذي كان أمراء الأندلس يلجئون إليه في الشدائد ، ويأخذون بمشورته وفي لحظة يفقد سلطانه كله فضلاً عن فقده لولديه (الراضي والمعتمد) في ذلك اليوم المشؤوم ، ويؤخذ عنوة مكبلاً بالأغلال فيا له من موقف ، ويا لها من صورة بشعة وعظيمة على نفسه لاسيما وأنه هو من جلب الأسر ، فيصور هذه اللحظة بقوله : "8"

8 - ديوان المعتمد بن عباد ص 25 .

قالوا الخضوع سياسة
فليبد منك لهم خضوع
وأذ من طعم الخضوع
على فمي السم النقيع
إن تستلب عني الدنيا
ملكي وتسلمني الجموع
فألقب بين ضلوعه
لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم
آلا تحضني الدروع
وبذلت نفسي كي يسيل
إذا يسيل بها النجيع
أجلي تأخر لم يكن
بهواي ذلي والخشوع
ما سرت قط إلى القتال
وكان من أمني الرجوع
شيم الألي أنا منهم
والأصل تتبعه الفروع

فالقصيدة تحمل في طياتها أحاسيس ومشاعر ابن عباد اتجاه ما حصل معه في ذلك اليوم المشؤوم ، فما هي إلا زفرة نابغة من الأعماق مصورة تلك اللحظة الحالكة السواد ؛ والتي يجب عليه أن يقرر مصيره ومصير أسرته وملكه فيها ، فيالها من لحظة عبر عنها بعمق لأنها تجربة معاشة بكل ما فيها من مرارة بالرغم من كونه نظمها بعد أسره .

وما جاء فيها يدل على رباطة جأش وقوة لأنه يستعيد شريط المأساة التي لحقت به وبأسرته وبملكه بروح عالية ، وبجبين ناصع ، وهامة مرفوعة ، مفتخراً بإبائه الضيم ، والذل ، والهوان ، والذي كان عليه تجرع السم أهون من ذلك ، كيف لا ؟ وهو سليل النسب والحسب ؛ وصاحب بطولات ، وشجاعة يقتدى به فيها !!

وكان لا يهاب الموت ؛ وصاحب قلب جسور يدفع به إلى ساحات الوغى مؤمناً كل الإيمان بأن الأعمار بيد الله وحده ، ولم يكن يدور في فكره في يوم من الأيام أنه سيعود حيا في أي معركة مع الأعداء ، بل كان على يقين بأنه لن يموت إلا عندما يحين أجله الذي كتبه الله له ، وقد اعتبرها البعض من أصفى الشعر الحماسي عند العرب "9" ، والباحث لا يرى هذا صحيحاً لأن شعر الحماسة له وقته ومكانه ، فالشاعر لم يكن في موقف يبعث على الحماسة ، إنما هي صرخة نفسية ذاتية ، ومحاولة لإثبات الذات ، وإعادة التوازن بعد قراءة متأنية للكارثة التي حلت به ، وصرخة مدوية في وجه عدوه الذي أراد له الذل والهوان ، وهذا ما عبر عنه في الأبيات الأخيرة من القصيدة .

ومنها قوله لما دعا له الوزير زهر بن عبد الملك بمراكش بطول العمر :

دعالي بالبقاء وكيف يهوى
أسير أن يطول به البقاء
أليس الموتُ أروحُ من حياةٍ
يطول على الشقي بها الشقاء
إلى قوله :

أرغب أن أعيشَ أرى بناتي
عوارى قد أضربها الحفاء
خوادم بنت من قد كان أعلى
مراتبه - إذا أبدو - النداء
وطرد الناس بين يدي قمري
وكفهمُ إذا غصُ الفناء
وركض عن يمين أو شمالٍ
لنظم الجيش إن وقع اللواء
إلى قوله :

سيلي النفس عن فات علمي بأن الكلّ يدركه الفناء

فقد صور لنا شعور الأسير وهو في ذل وقهر , وتساءل كيف لمثل من يعاني ذلك أن تطيب له الحياة أليس الموت أرحم من البقاء؟ وهو يرى بناته عاريات خادمت لمن كن بالأمس القريب خدم لهن , وفي ظل هذا القهر والأسى كله يخلص إلى أن العزاء أنه يعلم حق العلم واليقين بأن الموت كأس الكل شاربه ووارده .

2- الإحساس بدنو الأجل :

نعم الأجل : هو المصير المحتوم لأي إنسان خلقه الله على وجه البسيطة , فليس له أي فكاك من برائته مهما اجتهد وحاول , والإنسان لم يركن لهذا المصير المحتوم بل سعى منذ الأزل وراء الخلود متعلقاً بكل ما آمن من أسباب , غير أنه لم يحصل إلا على الخيبة والخسران إلى أن أيقن بحتمية الموت وضرورة الانصياع والاستسلام للقدر , ومع مجيء الاسلام أصبحت الصورة واضحة , ولم تعد بتلك القتامة المأساوية التي كانت عليها في المجتمعات الوثنية , بل أصبحت النفس تطمئن وتسكن لأن حتمية الموت لم تعد ترهبها , فهي مقبلة على حياة أبدية بعده أفضل من حياة الدنيا لمن آمن بالله وعنده حق عبادته عكس ما كان عليه الإنسان في المجتمعات الوثنية , إذ كان ينفر من الموت ظناً منه أنه المآل الأخير للإنسان "10"

10 - ينظر الملل والنحل أبو الفتح الشهرستاني تحقيق / محمد سيد كيلاني - دار صعب - بيروت 1986 ص / 2 / 235 , عبد الله الصانع - الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام ص 17 - 18 دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ط / 1986 .

وشاعرنا لم يكن لديه أي أمل بالنجاة والحرية , وكان الهم يحطمه ؛ والأسى بوهنه وكان يشعر بدنو أجله , بل كان يتخيل ذلك اليوم وأحس بذلك الاحساس والشعور بعد أن قضى أربع سنوات في أسره معبراً عن ذلك بقوله وقد أوصى بكتابتها على قبره : "11"

قبر الغريب سقاك الراح الغادي حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
نعم هو الحق حاباني به قدر من السماء فوافاني لميعاد
ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه أن الجبال تهادي فوق أعواد
كفك فارق بما استودعت من كرم رواك كل قطوب البرق رعّاد

نعم بمنتهى اطمئنان الإنسان المسلم لحتمية مصيره يقبل ويستسلم له ابن عباد مؤمناً بأنه الحق الذي حباه الله به ، أي : أكرمه به من السماء ، لهذا أكدنا أن نظرة الإنسان المسلم تختلف كلياً عن نظرة الإنسان الوثني إلى حتمية الموت .

ومنه قوله في ذم الدنيا وملذاتها ، وأنها فانية ، وأن كل من يلهث خلف ملذاتها ما هو إلا إنسان فاقد للعقل والحكمة وعليه أن يستيقظ ويعود إلى رشده قبل فوات الأوان : "12"

فُبح الدهر فماذا صنعا كلما أعطى نفيساً نزعا
قل لمن يطمع في نائله قد أزال اليأس ذاك الطمعا

3- التأسف على ضياع العمر والشباب :

يخلق الله الانسان ضعيفاً , فينشأ ويشد ساعده , ويعيش حياة شبابه ثم يرده إلى أرزل العمر , فينتهي ضعيفاً , ولكن مرحلة شبابه هي أكثر مراحل حياته إنتاجاً ونفعاً له , لذا يبقى تواقاً لها عندما يتقدم به العمر ويصل إلى مرحلة الشيخوخة التي يفقد فيها عنفوان الشباب ؛ ويقف عاجزاً أمام ملذات الحياة , وفي تلك اللحظة تهيج النفس ذكريات الماضي وأيام الشباب والقوة , فيعبر عنها بنوع من الأسى والحزن على فقدانها , ويروي صاحب العقد الفريد عن أبي عمرو بن العلاء قوله بهذا : "13"

" ما بكت العرب شيئاً كما بكت على الشباب وما بلغت به ما يستحقه "

11 - ينظر ديوان المعتمد بن عباد 96، 29

12 - المصدر نفسه ص

13 - العقد الفريد - ابن عبد ربه - تحقيق مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت - مج 2 / 361

وشاعرنا المعتمد بن عباد أحد الشعراء الذين أحسوا بفقدان شبابهم ، وملكهم وأولادهم ، وأشياء كثيرة ، وقد انتابه هذا الشعور والإحساس ، ووقف عنده ملياً ومنه قوله في أسره عندما دعا له الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك في مراكش بطول العمر : "14"

دعالي بالبقاء وكيف يهوى	أسير أن يطول به البقاء
أليس الموتُ أروخَ من حياةٍ	يطولُ على الشقيِّ بها الشقاء
فمن يكُ من هواه لقاء حبِّ	فإن هواي من صفِّي اللقاء
أرغبُ أن أعيشَ أرى بناتي	عوارى قد أحرَّ بها الحفاء
خوادمَ بنت من قد كان أعلى	مراتبه إذا أبدؤ النداء

فبهذه الأبيات شكوى من الأسر وما يلاقيه فيه ، ويؤكد فيها على أن الموت أريح له من البقاء وطول العمر أسيراً ، وكيف تطيب له الحياة ؟ وهو سليل الملوك ، ويرى بناته عاريات حافيات يخدمن من كان عندهن خادماً قبل أسره ، وبهذه الأبيات أسف وحسرة على الأيام الخوالي ، لكنه يستسلم للقضاء والقدر الحقيقة التي سيدركها كل ابن انثى وإن طالت سلامته فيقول :

سئسلي النفسَ عن فات علمي بأن الكلَّ يدركهُ الفناء

ومثلها ما جاء في رده على رجل يعرف بأنه الزنجاري ، وقد سأل المعتمد أن يزوده من شعره فرد عليه قائلاً : "15"

لو أستطعُ على الزويد بالذهب	فعلتُ لكن عداني طارقُ النوبِ
يا سائل الشعر يجتابُ الغلاة به	تزويدك الشعر لا يُغني عن السَّغبِ

غلى قوله :

أصبحتُ صفراً يدي مما تجود به	ما أعجب الحادثُ المغدور في رجبِ
ذل وفقرٌ أزالا عزَّةً وغنى	نعمى الليالي من البلوى على كئيبِ
قد كان يستلب الجبار مهجته	بطشى ويحيا قتيلاً الفقر في طلبِ

فقد أوضح فيها أن أيام عزه وشبابه التي كان فيها يكرم كل من يقصده ؛ ويجزل لهم الذهب بدل الشعر قد مضت ؛ وعدا عليها طارق النوبِ ، فالحسرة على تلك الأيام واضحة في قوله

14 - ينظر ديوان المعتمد ص 90

15 - ديوان المعتمد بن عباد ص 90

لاسيما بذكر أن حاله أصبح لا يسر لا عدو ولا صديق ، فقد ذهبت العزة والكرامة والغنى وحل محلها الذل والفقر .

وأيضاً يستسلم لحتمية الموت قائلاً : "16"

أرى الدنيا الدنية لا تواتي فأجمل في التصرف والطلاب
ولا يغرك منها حُسنُ بُردٍ له عَلمان من ذهب الدَّهاب
فأؤلها رجاءً من سَرابٍ وأخرها رداءً من تُرابٍ

ويتحسر على أيامه الخوالي في قصوره في الأندلس قائلاً : "17"

بكى المبارك في أثر ابن عباد بكى على إثر غزلان وآساد
ولما أحسن بدنو أجله رثى نفسه بأبيات أوصى أن تكتب على قبره ، وفيها نوع من التحسر على ذهاب العمر ومنها قوله : "18"

قبر الغريب سقاك الرائحُ الغادى حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
ويتحسر على دهره الذي انقضى في اشبيلية وكان مسروراً به في قصيدة قالها عندما دخل على بناته في العيد وقد رآهن بغزله للناس قائلاً : "19"

قد كان دهرُك إن تأمره متمثلاً فرك الدهر منهيأً ومأموراً
من بات بعدك في مُلك يسر به فإنما بات بالأحلام مغروراً

(4) الشعور بالغربة والحنين إلى الماضي وللأهل والوطن:

الاحساس بهذا الشعور يدل رقة القلب ورجاحة العقل وعراقة الأصل ونبيل الأخلاق ، وهذا من أغراض الشعر العربي التقليدي لكن كان لأهل الأندلس ووفقات ووقفات كما ونوعاً لما جرى لهم من غربة واغتراب ، توافره لديهم لم يكن بسبب تعرض بعضهم للنفي فحسب ، فقد شعر بعضهم به وهو في مسقط رأسه عندما عومل كأنه غريب أو درجة أدنى من الآخرين بالمجتمع نفسه ، وكانوا كلما اشتدت وطأة الاغتراب عليهم ونالت من أنفسهم فزعوا إليه يبتونه توقهم وحنينهم لأحبابهم وأوطانهم ولأيامهم فيها

16 - المصدر نفسه ص 93

17 - المصدر نفسه ص 95

18 - ديوان المعتمد بن عباد ص 96

19 - المصدر نفسه ص 101

²⁰، و شاعرنا تعرض للأسر والنفي ، وفقد وطنه وأهله ومحبيه ، فقد عاش أسيراً في سجن مدينة أغمات المغربية عليه ليس غريباً أن يشعر بغربة المكان والمجتمع ؛ وليس غريباً عليه أن يحن إلى الماضي ؛ ولاسيما أن ذلك الماضي كان له فيه مجداً وذكريات تبهج النفس وتسد ، مجداً كان فيه عزيزاً كريماً ، يعطي ويأمر ، وينهى ، وأفراد أسرته جميعاً من حوله ²¹، وقد عبر شاعرنا عن هذا قائلاً : " ²²

غريب بأرض المغربين أسير سيبيكي عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا وينهل دمع بينهن غزير
فياليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغرير
بمنبته الزيتون مورثة العلا تغني قيان أو ترن طيور
بزاهرها السامي الذرا جاد والحياء تثير الثريا نحونا ونشير
قضى الله في حمقى الحمامَ وبعثرت هناك منا للنشور قبور

فقد سجل لنا في أبياته ما ظفر به من متع الدنيا الجميلة ، كما سجل لنا حنينه إليها ولجمالها بغاية الشوق بعد ناي عنها ، ويمكن القول هنا أن حنينه جاء كلاسيكياً سائراً على طريقة العرب في هذا الفن ²³، وسبقه فيه العديد من شعراء الأندلس الذين نزحوا أو تعرضوا للنفي قسراً كعبد الرحمن الداخل وغيره . ²⁴

بقوله لابن عمار : " ²⁵

آلاحي أوطاني بشلب أبا بكر وسلهن : هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصرا الشراحيب عن فتى له أبدا شوق إلى ذلك العصر

وولعه بالجمال الناطق (المرأة) جعله لا يلتفت كثيراً إلى الجمال الصامت (الطبيعة) لا في عهده قبل الأسر ولا بعده .

والمعتمد بن عباد في أسرهِ وجد في رثاء بنيهِ وبكائهم تنفساً له ؛ وتعويضاً لحالته النفسية ، فأوحت له قوله : " ²⁶

²⁰ ينظر الأدب العربي في الأندلس - د. عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت - ص 273

²¹ ينظر تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) - د. شوقي ضيف - دار المعارف - مصر ط3/ 1989م ص 339-341

²² - المصدر نفسه ص 99

²³ ينظر الأدب العربي في الأندلس - د. عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت ط 197 ص

²⁴ ينظر في الأدب الأندلسي - د. جودت الركابي - دار المعارف - دمشق ط 1960م. ص 82

²⁵ - ديوان المعتمد بن عباد ص 20

²⁶ - المصدر نفسه ص 26

يقولون : صبراً , لا سبيل إلى الصبر
ولديه فيقول : "27"

فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى إذا أنتما أبصرثماني في الأسر

وإن كان ظاهر البيت وغرض القصيدة رثاء ولديه إلا أن قوله فيه بكاء لذاته وما تلاقيه في الأسر من مذلة ، وفقد للملك ؛ لدرجة أن ولديه سيتمنيان العودة للموت على أن يرياه مقيداً مأسوراً ، ومنه قوله عندما مر به سرب قطا ، فهتجت مشاعر الشوق والحنين لديه وهو في غربته مأسوراً ومكبلاً : "28"

سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولكن حنيناً أن شكلي لها شكل
وجيع ، ولا عينا يبيها ثكل
فأسرُح لا سمل صديق ولا الحشا
بكيث إلى سرب القطا إذ مررن بي
ولم تك - والله المعيد - حسادة
إلى قوله :

آأ عصم الله القطا في فراضها
فإن فراضي خانتها الماء والظل
وفيها بكاء لذاته في كونه أسيراً مكبلاً , ويحن فيها إلى أيامه الخوالي عندما كان طليقاً مثل سرب القطا ملموم الشمل ، ومبتهج القلب ، والعيون فرحى لا تبكي على ثكلى .

5- الضيق والضجر من الحياة بسبب الشيخوخة وظهور الشيب :

وهذا الاحساس أو الشعور يرافقه شعور وإحساس بالغربة التي يمكن أن تكون غربة زمانية أو مكانية.
أما الزمانية : فهو شعور الإنسان بأنه يعيش في عصر مختلف عما ألفه في سالف أيامه , وهذا الشعور ينتاب الإنسان الذي يعمر طويلاً ، فيشهد أجيالاً مختلفة عنه بالأعراف والتقاليد والعادات وتتبوأ المراكز السياسية والاجتماعية على اختلافها وبالتالي يخفت صوت الكبار ، فيدركون أنهم يحيون في زمان مختلف عن زمانهم , ويتعاطم هذا لديهم كلما تقدم بهم العمر أو أنه يعيش بين أشخاص تنكروا لما قدم لهم في سالف الأيام ، و أياً كان سبب هذا الشعور فلا يمكن لصاحبه التخلص منه إلا بالموت ، فيطلبه هروباً من ذلك الشعور (ضيق الحياة والضجر منها)

27 - المصدر نفسه ص 26

28 - المصدر نفسه ص 110

وأما المكانية : فهو شعور الإنسان بأنه قد أبعده قسراً عن مكان نشأته ، وأهله ، ووطنه ، وبالتالي يولد لديه شعور وإحساس بالضيق والضجر من الحياة ، والمعتمد بن عباد قد واجه كلاهما معاً أثناء أسره في مدينة أغمات المغربية ، فقد تولد لديه شعور الغربة الزمانية عندما تنكر بعض من أحسن إليه وأكرم وفادته أيام عزه ، ومن ذلك قوله لمن أقبل عليه من الشعراء وهو في أسره يطلبون العطاء عندما سمعوا بعطاء المعتمد للحصري الشاعر في طنجة : "29"

شعراء طنجة كلهم والمغرب
سألو العسير من الأسير وإنه
لولا الحياء وعزة لخميمة
قد كان إن سئل الندي يُحزّل وإن
ذهبوا من الإعراب أبعده مذهب
بسؤالهم لاحق منهم ، فأعجب
طي الحشا لحكا همو في المطلب
نادى الصريحُ ببابه اركب يركب
ويضجر المعتمد في أسره فيزهد بالدنيا ومتعها التي تمتع بها أيام ملكه ، وهو زهد من فقد عفوان الشباب ؛ وما كان يتمتع به من مجد والعديد من متع الدنيا الأخرى وليس تديناً ، وهذا ما نجده في قوله :

وإذا ما اجتمع الدين لنا
ويقبل عليه العيد وهو في أسره ويدخل عليه بناته ، ويراهن بثيابهن البالية يغزلن للناس ممن كان خدماً لهن ، فتمزق قلبه وضجر من تلك الحياة البائسة التي يعيشها وتعيشها معه أسرته ، فيقول :

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً
ترى بناتك في الأظمار جائعة
إلى قوله :
قد كان دهرك إن تأمره متمثلاً
فردك الدهر منهباً ومأموراً
يشير إلى شعوره بالغربة التي ألبسته الذل والمهانة والوحشة ، ومما زاد الطين بلة وزاد في ذلك الأسى القيد الذي غلت به قدماءه ، الأمر الذي جعل شعره جله حشرات وشكوى وبكاء وضجر من قيده الذي نال من جسده فيقول : "30"

قيدي ، أما تعلمني مسلماً !؟؟
دمى شراب لك ، واللحم قد
ومنه ضجره من قيده ، ومن مكان أسره ، كما جاء بقوله : "31"
أبيت أن تشف أو ترحما
أكلته ، لا تهشم الأعظما
قضى وطراً من أهله كل نازح
سواي فاني رهن أدهم مبهم
وكرُّ يُداوي علّة في الجوارح
سبيل نجاتي أخذ بالمبارح

29 - ديوان المعتمد بن عباد ص 29 - 90

30 - ديوان المعتمد بن عباد ص 28

31 - المصدر نفسه ص ص 93

وفيها يصنف حاله كيف أن نازح عن أهله في وكرٍ يداوي فيها أمراض جوارحه وأنه رهن ليل أسود مظلم , وأنه فاقد لأي أمل بالنجاة والحصول على الحرية أو العودة إلى سالف مجده .

ويضجر منه مرة أخرى فيقول : "32"

تبدّلت من عز ظل البنود
وكان حديدي سنانا ذليقاً
فقد صار ذاك وذا أدهما

ومنه أيضاً ضجره من الكبل الذي كان ملتفاً على معصمه ، ويتضح هذا من قوله: "33"

تعتّفت في ساقِي تعتّفت أرقم
وإني من كان الرجال بسيفه
يساورها عضاً بأنياب ضيغم
ومن سيفه في جنةٍ وجهنم

6- فقدان عزيز (ولد أو زوجة ...) :

بكاء هذا النوع من فقدان لا يمكن أن يمرّ عابراً ، بل يعد له أرق الألفاظ و الأساليب لتظهر به العاطفة بأكمل صورها ، من صدق في المشاعر والأحاسيس ، وألم وحرقة على المفقود لقربه من صاحب التجربة³⁴ ، ولقد انتاب المعتمد بن عباد شعور الفقد والأسى كيف لا وهو من فقد ولدين له (المأمون والراضي) فراح يبكيها وبأشعاره التي منها قوله : "35"

فمالي لا أبكي !! أم القلب صخرة
بكت واحداً لم يُشجها غيره فقد
بني , صغيرٌ , أو خليلٌ موافق
ونجمان , زين للزمان, احتواهما

ويبكيهما في مكان آخر فيقول : "36"

يقولون صبراً , لا سبيل إلى الصبر

سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
إلى قوله :

يُعيد على سمعي الحديّدُ نشيده
ثقبلاً فتبكي العينُ بالحسن والفقير

ويبكيهما في قصيدة أخرى فيقول : "37"

32 - المصدر نفسه ص 94

33 - المصدر نفسه ص 111

34 ينظر دراسات في الأدب الأندلسي - العربي سالم الشريف - دار شموع الثقافة - ليبيا ط1/2003م ص60.

35 - المصدر نفسه ص 69

36 - المصدر نفسه ص 105

بكيّت فتحاً , فإذا ما رُمت سلوته
يا فلذتي كبدي يابسي تقطعها
إلى قوله :

منى السلام , ومن أم مُضجعة
أبكي وتبكي ونبكي غيرنا أسفاً
ثوى يزيد , فزادا القلبُ نيرانا
من وجدها بكما ما عشتُ سلوانا
عليكما أبدا , مثني ووحدانا
لدى التذكُر , نسوانا وولدانا

وبهذه الأبيات الحزينة يوقد المعتمد الضلوع نيرانا ، ويفيض العيون أنهارا من الدموع ، ويحتمل من الهموم والأحزان ألوانا بسبب تقلبات الدهر عليه وموت ولديه إلا أنه يستسلم لقدره لإيمانه بأنه سيكسب أجر صبره على فراقهما "38".

المبحث الثاني : بكاء أصدقاء المعتمد عليه وعلى ذاته

وكان الوفاء أهم بواعثه ، ولقد وفى له ثلاثة من شعرائه وهم :

- 1- أبو بكر الداني
- 2- ابن حمديس
- 3- ابن عبد الصمد

بكاء أصدقاء المعتمد عليه وعلى ذاته

لقد وفى له ثلاثة من شعرائه وهم :

- 1- أبو بكر الداني
- 2- ابن حمديس
- 3- ابن عبد الصمد

IJRSSH

37 - ديوان المعتمد بن عباد ص 70
38 ينظر الأدب العربي في الأندلس (تطوره -موضوعاته وأشهر أعلامه) د. علي محمد سلامة - الدار العربية للموسوعات - بيروت ط1/1989م
ص214-215 - في الأدب العربي الأندلسي والمغربي - د.علي دياب -منشورات جامعة دمشق 2003 ص144-145

وسنحاول الوقوف على بعض ما قالوه في بكاء المعتمد بن عباد ، فأبو بكر الداني قصده في أسره زائراً كنوع من الوفاء لمن كان ولي نعمته فيما مضى من أيام مجد المعتمد بن عباد في اشبيلية ، فما كان من المعتمد إلا أن أعطاه بعض ما يملك ، فأبى الداني أن يأخذها معتبراً أن زيارته لسيدته وولي نعمته هي من باب الوفاء وليس للتكسب "39" ، ودار بينهما حوار شعري جاء فيه قولهما - قال المعتمد للداني : "40"

إليك النزر من كفي الأسير
تقبل ما يذوب له حياءُ
حاش لله أن اجيح كريماً
إلى قوله :

لم نمت إنما المكارم ماتت
ولا تعجب لخطب غض منه
إلى قوله :

نحوسُ كُن في عقبى سعود
فرد عليه الداني بقوله : "41"
سقطت من الوفاء على خبير
إلى قوله :

أسيرُ ، ولا أسير إلى اغتنام
ومنها قوله :

غني النفس أنت وإن ألحت
أحدث منك عن نبع غريب
وأعجبُ منك أنك في ظلام
رويدك سوف توسعني سروراً
فراجع المعتمد : "42"

رد بري بغياً علىّ ، وبراً
عاف نزري إذ خاف تأكيد ضري
إلى قوله :

يا أبا بكر الغريب وفاء
فأجابه الداني بقوله :
أيها الماجدُ السميذعُ عذراً
صرفي البرِّ إنما كان برّاً

39 - ديوان المعتمد بن عباد ص 29

40 - المصدر نفسه ص 102

41 - المصدر نفسه ص 103

42 - ديوان المعتمد بن عباد ص 104

وأما ابن حمديس فقد قصده في أسره زائراً إلا أن خدم المعتمد قد صرفوه عن مقصده ، فعلم المعتمد بن عباد فيما بعد بذلك فتأسف على ما حصل من الخدم وأرسل له بقصيدة يعتذر فيها عن تصرف خدمه معه جاء فيها قوله : "43"

حُجِبَتْ فلا والله ما ذاك من أمري فاصغ فدنك النفسُ سمعاً إلى عذري
فما صار إخلالُ المكارم لي هوى ولا دار إجمالُ لمثلك في صدري
إلى قوله :

عدمتُ من الخُدام كلَّ مهذب أشير إليه بالخفي من الأمر
وفي النهاية يقول :

وأنت ابن حمديس الذي كنت مُهدياً لنا السحر إن لم نأت في زمن السحر
فجاوبه ابن حمديس بقصيدة مطلعها : "44"

أمثلك مولى يبسط العبدَ بالعذر بغير انقباض منك يجري إلى ذكر
أما ابن عبد الصمد فقد قصد قبره بعد وفاته بعد صلاة العيد وأنشد على قبره قصيدة طويلة
منها قوله :

ملك الملوك , أسامع , فأنادي أم عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن فيها , كما قد كنت في الأعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضع الإنشاد
ويروي أنه خر يبكي ويعفر وجهه في تراب قبر المعتمد فأبكى كل من كان معه .

أهمية الدراسة تكمن بالآتي :

- 1- التعريف بالمعتمد بن عباد .
- 2- بيان موقفه من حقيقة الموت والحياة أي بيان قوة إيمانه بالله .
- 3- كونها تمثل موضوعاً خاصاً بالنفس البشرية الإنسانية .
- 4- تبيين جانباً من جوانب حياة الشاعر الحربية والسياسية والاجتماعية .
- 5- تمثل وثيقة تاريخية مهمة لأي باحث في تاريخ الأدب الاندلسي .
- 6- كونها تظهر وتصور العواطف الإنسانية بصدق وعفوية .

43 - المصدر نفسه ص ص 101

44 - المصدر نفسه ص ص 102

الخاتمة :

الحمد لله أولاً وأخراً ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ؛ والحمد لله الذي منّ علينا بالصبر والأناة في إعداد هذه الورقة البحثية المتواضعة التي نسأل الله أن تكون فاتحة خير لغيرها من الدراسات الأدبية المشتركة بيننا.

أما بعد :

فإن تتبع النصوص التراثية شاق من جهتين : الأولى : كثرة المصادر التراثية القديمة ؛ والأخرى : تمييز النصوص مجال الدراسة عن غيرها من النصوص التي تلتقي معها في جوانب كثيرة.

هذا وقد أسفرت الدراسة عن جملة من النتائج التي يمكن إثباتها على النحو الآتي :

1- كان الشاعر المعتمد بن عباد يرثي نفسه إذا أحس بدنو أجله ؛ وأكثر المثيرات لهذا الإحساس الاحتضار ، والمرض ، والشيخوخة ، والغربة ، وفقد الشباب ، وكلما اقترب منه الموت كان أكثر صدقا.

2- كشفت الأبيات المأساة التي أحاطت به ؛ وردة فعله خاضعة للسيطرة بتذكره الصدمة التي حلت به وبأسرته وبلده ، ولم يرضخ للظلم والذل والهوان ؛ وهذه الحماسة هي من نسج خيال الشاعر وغير حقيقية مقارنة بالظروف المحيطة بالحدث.

3- كون الشاعر مسلم نجده مطمئن لحتمية مصيره يقبله ويستسلم له، وابن عباد مؤمناً أن هذه هي الحقيقة التي وهبها الله له ، وبدليل زهده ولعنه الدنيا ومتعها ووصفه لها بالعابرة ، وأن كل من يشتهي ملذاتها ما هو إلا إنسان فاقد للعقل والحكمة ، وعليه أن يستيقظ ويعود إلى رشده.

4- استسلام الشاعر للموت دون الحياة ؛ ويؤكد أن الموت أريح له من البقاء بقية عمره أسيراً ، فما تنفعه الحياة وهو عبد بعد كل ذلك الملك ويرى بناته عاريات تهان من الخدم !!.

5- نجد أن الشاعر يميل إلى الشعور بالحنين إلى الماضي ؛ وهذا يرتبط بتجربة الشاعر السلبية والاكْتئاب والندم الذي يعيشه ، ويجد متعة ولذة في استعادة الأزمنة القديمة واسترجاع الذكريات.

6- يلاحظ أيضاً أن الشاعر يعاني من مشاكل نفسية بسبب الشيخوخة والسجن الذي وجد فيه نفسه ، فلعل الأولى شكلت له سجناً غير السجن الذي يحيط به ، لأنها أفقدته شبابه وعفوانه

وقوته ؛ ولعل فقدانها لملكه لفت نظره إلى صحته فراح يتفقد شعره ووجده فوجد رأسه قد اشتعل شيبا وتغطى بالبياض.

فهرس المصادر والمراجع :

- 1- الأدب العربي في الأندلس - د. عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت
- 2- الأدب العربي في الأندلس (تطوره -موضوعاته وأشهر أعلامه) د. علي محمد سلامة - الدار العربية للموسوعات - بيروت ط1/1989م
- 3- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) د. شوقي ضيف - دار المعارف - مصر ط3/1989م
- 4- ديوان المعتمد بن عباد- جمع وتحقيق أحمد بدوي / حامد عبد المجيد طبعة دار المعارف - ط/ 1951 .
- 5- دراسات في الأدب الأندلسي - العربي سالم الشريف - دار شموع الثقافة - ليبيا ط1/2003م
- 6- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام - عبد الله الصائغ - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ط / 1986
- 7- العقد الفريد - ابن عبد ربه - تحقيق مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت .
- 8- في الأدب الأندلسي - د. جودت الركابي - دار المعارف - دمشق ط 1960م
- 9- في الأدب العربي الأندلسي والمغربي - د. علي دياب - منشورات جامعة دمشق 2003م
- 10- الملل والنحل تحقيق - أبو الفتح الشهرستاني - محمد سيد كيلاني - دار صعب - بيروت 1986.
- 11- ملامح الشعر الأندلسي . د. عمر الدقاق . دار الشرق العربي ط1 / 2006.

REFERENCES

- 1- Arabic Literature in Andalusia - Dr. Abdel Aziz Ateeq - Dar Al Nahha Al Arabiya - Beirut
- 2- Arabic literature in Andalusia (its development - topics and most famous figures) d. Ali Muhammad Salama - Arab House of Encyclopedias - Beirut, 1st edition 1989 AD
- 3- History of Arabic literature (the era of states and emirates) d. Shawky Dhaif - Dar Al Maaref - Egypt, 3rd floor, 1989 AD
- 4- Diwan of Al-Mu'tamid bin Abbad - compiled and verified by Ahmed Badawi / Hamid Abdel Majid, edition of Dar Al Maaref - i / 1951 /.
- 5- Studies in Andalusian Literature - Arab Salem Al-Sharif - Dar Shamou` Al-Thaqafa - Libya, 1/2003 AD
- 6- Time among Arab poets before Islam - Abdullah Al-Sayegh - House of General Cultural Affairs - Baghdad, I / 1986
- 7- The Unique Contract - Ibn Abd Rabbo - investigation by Mufid Muhammad Qameha - Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut.
- 8- In Andalusian Literature - Dr. Jawdat al-Rikabi - Dar al-Maaref - Damascus, 1960 AD
- 9- In Andalusian and Moroccan Arabic Literature - Dr. Ali Diab - Damascus University Publications 2003
- 10- Boredom and the Bees, investigation by Abu Al-Fath Al-Shahristani - Muhammad Sayed Kilani - Dar Saab - Beirut 1986.
- 11- Features of Andalusian poetry. Dr.. Omar Dakkak. Dar Al-Sharq Al-Arabi, Edition 1, 2006.

IJRSSH